البحر

للأستاذ عبد الرحمن شكرى

ألا ليتنى لج كلجك زاخر
أعبُّ كما تهوى النهى والبصائر[1]

فكم عبت النفس اللجوج وحاولت
كبعض سطاك الآبيات النوافر[2]

وأخفت من الدر النفوسُ ومن حُلًى
كما اختبأت فيك اللهى والذخائر

كأن بها أفقاً كأفقك نائياً ومن دونه كل المدَى يتقاصر
أتطرب من لحن الخرير كأنه خواطر تتلوها عليك السرائر
كما طرب النشوان من لحن صوته فجاشت لديك الراقصات الزواخر
وإلا فما للموج فى اليمِّ راقصاً دعاه عذارى البحر شادٍ وشاعر[3]
خريرك يحكى صدحة الدهر صامتاً كأنك دهر بالحوادث ماثر[4]
هو الدهر لا يخشى المنايا ولا يهى صِبَاه ولا تقضى عليه المقادر
وأنت شبيه الدهر لا أنت هارم ولا أنت منقوص ولا أنت خاسر
ويصطخب الآذىُّ فيك كأنما اصـ
ـطخابك من حكم المنية ساخر[5]

أخَنْقٌ وإعصار ودفع وهبَّة كأنك حىٌّ نابض القلب شاعر
فريحك أنفاس وموجك نابض كنبض قلوب أعجلته البوادر
خلوتَ من الشمّار كالبيد والتحت معالم لا تُبْقِى عليها الأعاصر
سوى شِلْو فُلْك قد حدرت إلى الردى
يلوح كما لاحت رسوم غوائر

وكم جُزُر مثل الجِنان مضيئة كأنْ جهتها الصائلات الدوائر
تَخيلتْ نجومَ السعد والحب والمنى
فخنَّ إليها الشحشحان المُخَاطر[6]

(١) أى لج من الحياة والنهى (٢) أى النفوس الآبيات
(٣) عذارى البحر إشارة إلى الأسطورة الإغريقية
(٤) ماثر أى ماثج (٥) الآذى : الموج
(٦) الشحشحان : القوى الشجاع

كما حنَّ للآل الخلوب قوافل تَخُبُّ بها فى البيد إبلٌ ضوامر[1]
خلفتَ فى قلب المخاطِر همة على الدهر لا تبلى وتبلى المعائر
يحن إلى ما خلف أفقِكَ ناظر كما تنشد الغيبَ النهى والبصائر
كأن مُنَّى للنفس من خلف أفقه تلوح كما لاح السراب المبادر
أو أن محال السعد دُرٌّ مُنظَّمٌ على الأفق ينحوه الطلوب المغامر
بلى كل نفس للغريب مشوقة وإن خوَّفتها من سطاه المحاذر
ويصغر فى مرآك عيش ابن يومه ويكبُرُ رأىُ ذاهب فيك سائر
خواطر مثل الفلك فيك شوارد يضل عليها عازب اللب حائر
تناءت بك الأمواج وهى نوافر وجاءت بك الأمواج وهى ثوائر
كأن بها عجز المشيب إذا انثنت وعزم الشباب الغر وهى بوادر
فنم نومة الظـــل البطىء سيره
وثِبْ وثبة الغضبان حين يُساور[2]
فيارُبَّ حلم خامل البطش هادىء
ضمنت وجهـــل شره متطاير

كأن لنا من لج مائك واعظاً بليغاً له مما أثرت زواجر
رأيتك والأمواج فى وثباتها عساكر حرب قد تلتها عساكر
فبينا يريق الضوء فوقك ماءه وتجرى عليك الريح وهى خواطر
ويتلو عليك الصائدون غناءهم يرجِّعه لحن من الماء مائر
ويُسمِعك الملاح من شجو قلبه أحاديث قد ناقت لهن الحرائر
إذ الجو جهم والرياح كتائب وإذ أنت مقبوح السريرة غادر
ورب سفين يقرع النجمَ مجدُه تقاذفها مستوفز اللج هامر
يُرَوِّعها فى كل هوجاء مُوعِدٌ ويسعى لها قبر من الماء سائر
وما ذلك اللج الذى فى سمائها بأهدأ من لج غمته الزواخر
إذا ذكر الملاّح زوجاً وصبية طغى شجن فى مِرْجَلِ الصدر فائر
وتذهل عن مهد الوليد رءومه إذا مارمتْها بالوعيد الزماجر
وما هى إلا صولة ثُمَّتَ انجلت وأكبر غرقاها المساعى البوائر
كما غرقت فى لجة الدهر دولة زهت مازهت والدهر للناس غامر

عبد الرحمن شكرى

(١) الخبب العدو
(٢) نومة الظل سكونه الذى يشبه به سكون البحر كما تشبه سورته بسورة الغضبان